مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مَجَلَّةٌ - إِسْلَامِيَّةٌ - ثَقَافِيَّةٌ - جَامِعَةٌ - مُحْكَمَةٌ

تَصْدُرُ سَنَوِيًّا عَنْ

كُلِّيَّةِ الدَّعْوَةِ الإِسْلَامِيَّةِ

العددان الواحد والثلاثون والثاني والثلاثون

لسنة 1439 – 1440 الهجرية الموافق: 2017 – 2018 الميلادية

الأندلس

أ.د. عبد الحميد عبد الله الهرامة
كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس - ليبيا

الأَنْدَلُس أو الفاندلس اسم مأخوذ من قبيلة الوندال الجرمانيَّة القادمة من الدول الإسكندنافيَّة، وقد حكمت هذه القبيلة شِبْه الجزيرة الإيبيريَّة المعروفة الآن بإسبانيا خِلال القرن الخامس الميلادي[1]، ثم طُردت إلى الشَّمال الإفريقي بأيدي قبيلة جرمانية أُخرى هي قبيلة القوط الغربيين.

وحين قَدِم العرب إلى شِبه الجزيرة الإيبيريَّة سنة 93 للهِجرة 711 للميلاد احتفظوا باسم الأندلس وأطلقوه على ما يضمُّ الآن إسبانيا والبرتغال، وأسَّسوا فيها حضارة مُتميِّزة بقيتْ حتى سنة 898 للهِجرة 1492 للميلاد، وهو التاريخ الذي سُلِّمت فيه مفاتيحُ غرناطة إلى المَلكة إيزابيل وزوجها فرديناند، وخرج منها الأمير أبو عبد الله الصغير آخر ملوك الأندلس الإسلاميَّة مُتَّجهًا إلى الشَّمال الإفريقي.

وتُعتبر القُرون الثمانية التي قضاها المسلمون في ربوع الأندلس من أَغْنى

(1) للتوسُّع في تاريخ إسبانيا قبل الفتح الإسلامي انظر: كتاب **إسبانيا شعبها وأرضها، وحاشية الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**، ط2، ص25 اعتمادًا على:
- Antonio Ballestros: Synteses de Historia deEsPana, pp.10FF.
- Aguado Diexe, pp.153 FF

وأزهر حَلقات الحَضَارات التي شهدتها شِبْه الجزيرة الإيبيريَّة في تاريخها الطويل، ولا زالت آثارها العِلْميَّة والأدبيَّة والمِعْمَاريَّة شاهدة حتى اليوم، ودالَّة على أصالة تلك الحَضَارة وتقدُّمها، فقد بقيت الآثار العربيَّة الإسلاميَّة في تلك البلاد ماثلة على هيئة عمارة، ومخطوطات ووثائق، ومُفردات عربيَّة في اللُّغة الإسبانيَّة، ورُموز ومُسمَّيات تاريخيَّة، كما بقيت في دماء الشعب، وفي نُظم حياته الاجتماعيَّة وغيرها من مظاهر الحياة.

الدول الإسلاميَّة في الأندلس:

1 - عصر الولاة:

تولَّى في هذا العصر ولاة يتبعون لمركز الخِلافة في دمشق وبغداد ويبدأ هذا العَصْر بدخول طارق بن زياد وموسى بن نصير إلى الأندلس سنة 93هـ/ 711م، وينتهي بقيام الدَّولة الأُمويَّة بداية بِعَصْر الإمارة، وقد كانت الأندلس في هذه الفترة تابعة للدَّولة الأُموية في دمشق ثم العباسيَّة في بغداد، وحكم الأندلس فيها ولاة أشهرهم السمح بن مالك الخولاني، وعنبسة بن سحيم الكلبي، وعبد الرحمن الغافقي.

2 - عصر الإمارة:

بدأ عصر الإمارة بتأسيسها من قِبَلِ الأمير الأُموي عبد الرحمن الداخل سنة 138هـ/ 756م إثر قُدومه إلى الأندلس فارًّا من مُطاردة العباسيين للأُمويين؛ حيث التفّ حوله أنصار بني أمية، وكوَّنوا دولة أُمويَّة أندلسيَّة مُزدهرة، مثَّلت العصر الذهبي لتاريخ الإسلام في الأندلس، غير أنَّ هذا الأمير ومن بعده تعرضوا لثورات مُتوالية كادت أنْ تعصف بالدولة حتى تولَّى عبد الرحمن الناصر الحكم سنة 300 للهجرة، فاستتب الأمن في أيامه وازدهرت الحياة العامَّة، الأمر الذي شجَّعه على إعلان دولة الخِلافة.

3 - عصر الخلافة (316هـ - 422هـ):

يبدأ عَصْر الخلافة بإطلاق لَقب الخليفة على الأمير عبد الرحمن الناصر أقوى مُلوك الأندلس من سنة 316هـ/ 929م، وقد دام حُكمه في قرطبة حتى سنة 350 للهجرة، ويستمر عَصْر الخلافة في ابنه وحفيده، وتلتصق به فترة الحجابة بقيادة المنصور بن أبي عامر، وهي التي حافظت على اسم الخِلافة باحتضانها لحفيد الخليفة حتى سنة 422 هـ تاريخ قيام الطوائف.

4 - عصر مُلوك الطوائف (422هـ - 484هـ):

استغلَّت شخصيَّات ذات تأثير اجتماعي واقتصادي وعسكري في المُدن الأندلسيَّة ضُعف الدَّولة المركزيَّة فاستولوا على مقاليد ما بيدهم من المدن والقرى، وتختلف في اتِّساعها وضيقها بحسب وضعها الجُغرافي. فكان من ذلك بنو جهور في قرطبة، وبنو عباد في إشبيليا، وبنو هود في طليطلة، وبنو زيري في غرناطة، وبنو الأفطس في بطليوس وسِواهم.

5 - عَصْر المُرابطين (488-541هـ):

أمام الغزو النَّصراني الذي تعرَّضت له دول الطوائف بعد ضعفها لم يكن لهم مندوحة من الاستعانة بإخوتهم في المغرب؛ حيث توجد دولة فتيَّة وقويَّة تُسمَّى دولة المُرابطين.

ولمَّا كانت هذه الدولة قائمة على أساس ديني فقد تولَّت الدَّعوة إلى الجهاد واستجابت إلى صريخ المُستغيثين، وانتصرت على النَّصارى في العديد من المواقع، وأشهرها معركة الزلاقة، ثم استجابت لدعوة الفقهاء بعزل مُلوك الطوائف بوصفهم السَّبب المُباشر لازدياد أطماع النَّصارى.

6 - عَصْر الموحدين (541-668هـ):

ضيَّق الموحِّدون الخناق على المُرابطين في أواخر النِّصف الأوَّل في القرن السَّادس الهِجري، واستطاع المهدي بن تومرت بما يملكه من قُدرة

كلاميَّة أنْ يؤلِّب المغاربة على المُرابطين، ونفعهم في ذلك الأندلسيُّون، ونفضوا أيديهم من بيعة المُرابطين، فعاد إلى الأندلس عصر طوائف جديد حتى قدم الموحدون سنة 541هـ، ولئن تمتَّعت فترة الموحدين بالأمن فإنَّها لم تكن فترة قتال خارجيَّة وهو ما جعل النَّصارى يطمعون في استقطاع أرض جديدة كُلَّما حانت لهم فرصة سانحة، وكان أكبرها معركة العقاب التي هزم فيها الموحّدون أمام النَّصارى، وكانت من عوامل سُقوط هذه الدولة التي انهارت على أيدي المرينيين في المغرب.

7 - دولة غرناطة (635-897هـ):

مرَّت الأندلس بفترة طوائف ثالثة بعد رحيل الموحدين كانت خِلالها المُدن الأندلسيَّة لُقمة سائغة في أفواه النَّصارى المُتلهِّفة لابتلاعها.

وسط هذا الوضع الخطير على مصير الإسلام والمسلمين في الأندلس قامت دولة بني نصر في غرناطة وما يتبعها من أقاليم وحُصون، وقد رحل إليها العديد من المُسلمين الذين احتلَّ النَّصارى ديارهم، فطُردوا أو رغبوا عن الحياة في بيئة مُعادية.

ولئن استمرت الدولة النصريَّة ما يزيد على القرنين من الزمان فإنَّ الصِّراع على السُّلطة داخل البيت النّصري وتضييق النصارى من الخارج جعل الدَّولة النّصريَّة تنحصر في الأطراف الجَنوبيَّة للأندلس قبل أنْ تلفظ أنفاسها الأخيرة سنة (897هـ/ 1491م).

شهدت الأندلس خِلال وجود المسلمين فيها على مَدَى ثمانية قُرون نهضة عِلْميَّة وأدبيَّة ومعماريَّة وزراعيَّة كُبرى لا يُمكن اختصار التعريف بها في هذه العُجالة، ولكن العَوْدة إلى كتاب بلنثيا المعروف بـ **تاريخ الفكر الأندلسي** يُعطي القارئ معلومات شتى عن النبوغ الأندلسي في المجال الفكري، ويُمكن أنْ يجد المطَّلع على **نفح الطيب** للمقري التلمساني نماذج من آداب الأندلسيين وأخبارهم، لكن من أراد أنْ يقف على تفاصيل ذلك في العُلوم والفُنون والآداب فليعد إلى المكتبة الأندلسيَّة في العلم الذي يختاره، وسيجد جُهوداً

عِلْميَّة جديرة بالتقدير والعرفان، نذكر منها على سبيل التمثيل لا الاستقصاء مؤلَّفات ابن حزم في عُلوم وآداب شتَّى، ومؤلَّفات ابن حيان في التاريخ، ومؤلَّفات ابن عبد البر وابن رشد الجد وأبي علي الصدفي في الحديث والفِقه، ومؤلَّفات ابن بسام والفتح ابن خاقان وابن الخطيب في التراجم والأدب، ومؤلَّفات ابن رشد الحفيد وأبناء زهر في الفلسفة والطِّب، وغير هؤلاء كثر في مجالات شتَّى.

ومن أراد أنْ يعرف مِعْمار الأندلس فليرجع إلى ما كتبه باسيليو بايون مالدونادو فهو قد كتب الكثير في هذا المجال ومن العرب الأساتذة السيد عبد العزيز سالم وكتابه قرطبة حاضرة الحضارة في الأندلس، وحسين مؤنس وكتابه رحلة الأندلس حديث الفردوس المفقود، ومحمد عبد الله عنان في كتابه آثار الأندلس الباقية.

وفي المكتبة الأندلسيَّة جانب مُهم خاصّ بالتراجم، وتأتي أهمِّيته من أنَّه معرض لمسيرة البارزين من الأندلسيين في كُلّ مجال، ولئن اختصَّت بعض كُتب التراجم بفئة خاصَّة من النَّاس كقُضاة الأندلس للنباهي، إعتاب الكتاب لابن الأبار، وترتيب المدارك في أعلام مذهب الإمام مالك وذيوله، فإنَّ عدداً كبيرًا من كتب التراجم الأندلسيَّة كانت للمشاهير في عُلوم شتَّى مثل مؤلَّفات ابن سعيد، ومؤلَّفات ابن الخطيب، ومؤلَّفات المقري التلمساني.

ويبقى الحديث عن الأندلس ذا شجون وشؤون ولكن ما لا يدرك كُلّه لا يترك جلّه.